مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٦) العدد (١٠) تشرين الأول
(٢٠٠٩)

شعرية المكان في شعر الأخطل

د.نهى محمد عمر
قسم اللغة العربية/كلية الآداب
جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يعد الشعر واحداً من ابرز الفعاليات البشرية التي جسدت عمق وأصالة الحس المكاني لدى الأخطل. يطمح البحث إلى الغور في الأبعاد المكونة لشعرية المكان عند الشاعر وقد ربط هذا المنهج المكان بالواقع ثم تشخيص مقاصده الفنية وأبعاده الفكرية، وما يوحي به من قوة وتأثير في البناء الشعري، فقد كان المكان المفتوح من أكثر الأمكنة توظيفاً لدى الشاطر، وذلك لتأثره بالطبيعة الساحرة وبالذات الأرض والصحراء فقد ارتبط بها ارتباطاً وثيقاً فتغنى بذكرياته في أطلالها وجبالها ووديانها ومدنها، اما الأمكنة الأليفة فقد استمدت موضوعاتها من قيم الحياة الاجتماعية تكويناته وطريقة بنائه، فكانت منه مواطن للسكن بيوت وديار ومنازل ومواقع حية للأيام ومواطن ثرة للذكرى. اما الأمكنة الدينية، فكانت ميداناً فسيحاً صور الشاعر فيها وحدة الجماعة وتماسكها ومركزاً لفعاليتها في الحياة. وأدت الأمكنة الحضرية وظيفة مهمة وهي انها استوعبت نظرة الشاعر إلى التعلق بالآفاق المشرقة للنهوض الحضاري،مما يؤكد فخر انتماء الشاعر إلى هذه المدن.

توطئة

لقد شغلت الشعرية الدارسين في العالم لقرون طويلة وعلى مساحة ثقافية شاسعة،وهي ما تزال تشغلهم اليوم، وفي سياق كهذا، يقوم فيها الباحثون وفي لغات وثقافات مختلفة بالعمل في لحظة واحدة على جوانب محددة من الشعر خصوصاً بعد ان وصل التركيز على النص الشعري واللغة الشعرية،فالشعرية خصيصة علائقية أي انها تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية ان كلامها يمكن ان يقع في سياق آخر دون أن يكون شعرياً،لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها[١]. وبهذا التصور،يطمح البحث إلى الغور في الأبعاد المكونة لشعرية المكان عند الأخطل، وتتبع شعرية المكان من المقولة التي تذهب بالقول إلى ان أفعال الخلق تقع في زمان ومكان[٢]، ومن هذا القول يمكن ان يعد المكان احد ابرز العناصر الدالة على وجود الإنسان ونشاطه ومستوى تفكيره، وهما يرتبطان ببعضهما ارتباطاً حيوياً،فلا يمكن ان يعيش الإنسان بدون مكان، كما لا يمكن تصوره وتحديده الا بوجود فيه،لذلك وجدت فكرة المكان مع خلق الإنسان ثم نمت وتطورت بنمو الفكر البشري وتطوره،إذ كان المكان هو المحور الرئيسي الذي دارت حوله قصة خلق آدم، فأمره ان يسكن الجنة،وفي هذا الأمر إشارة واضحة إلى أهمية المكان والسكن فيه[٣]. والشاعر واحد من الخلق الذي يعيش في مكان، يؤثر في تشكيله وبنائه ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، واهم تشعباتها،فلا جرم ان نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة لهذا التأثير بين الإنسان الشاعر ومكانه.

ونظراً لأهمية المكان في النص الإبداعي،فأن ذلك النص يكون صيغة لإبداع الإنسان الناشئ عن المكان، وللمكان في الشعر عند المحدثين مكانة كبيرة فهو جزء من الإدراك الشكلي للقصيدة العربية، لذلك فقد تطرقوا إلى دراسة التشكيل المكاني في القصيدة،والذي عرفوه على انه "الحيز المكاني الذي تأخذه البحور في الصفحة أو أية مساحة أو أرضية تعد لذلك، والمكانية بهذا المفهوم لابد ان تختلف باختلاف البحور الطويلة والقصيرة، الكاملة والمجزوءة[٤]، فالمكان في الشعر"لا يقتصر من حيث كونه

أبعادا وحجوماً، بل هو نظام من العلاقات المجردة تتصل بجوهر العمل الفني"[٥]. ولأن الشعر من الفنون التي رافقت المسيرة البشرية على مدى العصور، فقد حمل ملامح الفكر البشري،وكان المكان هو احد الملامح البارزة للطابع القومي للأمم والشعوب،وعلى النطاق القومي للعرب،فقد اهتم العرب بأمكنتهم اهتماماً قد لا تصل إليه امة من الأمم عبر العصور، حتى أصبحت تلك الأمكنة في جانب منها قضية كبرى، ومن نتائج ذلك كثرة الشعر الذي قيل فيها وتعدد الكتب والأشعار التي الفت عنها فكانت تاريخاً لحياة العرب.

وقد جاء هذا الشعر عبر لوحات شعرية ابتدأها الشاعر قبل الإسلام في مطالع قصائده فقد كانت المقدمة الطللية رمزاً لارتباط الشاعر بالمكان وتلك من صفات الشعر العربي، فالطلل "قطعة من الحياة التي تهرم كلما مضى منها جزء لايستطيع رده وكأن البكاء على الطلل أصبح يعني البكاء على الحياة"[٦].

ومن خلال رحلة الظعائن وغيرها وقف الشاعر الجاهلي على المكان بوصفه مفردة أساسية سار عليها في إبراز قصته ورحلته للممدوح أو للحبيبة أو للقبيلة، فالطريق حافل بالمخاطر والأعباء، ولذا يضفي الشاعر على ناقته –كوسيلة للرحلة–عادة صفات القوة لقصة الحياة الإنسانية ومصاعبها الكثيرة خلال العصر الذي عاش فيه،ويكون المكان في هذه الرحلة كياناً فاعلاً يمكننا ان نتلمس حضوره واستمرار يته بما يمتلكه من قوة وتأثير في عناصر البناء الفني للنص الشعري[٧].

وكان للمكان في أشعار الغربة والحنين إلى الأوطان حضور بارز في الشعر إذ يعبر الشاعر من خلاله عن عمق الحس المكاني، إذ يحاول الشاعر ان يعيش وطناً داخلياً يتحدد كيانه عن طريق الخيال،يعوض فيه عن غياب فكرة الوطن في الواقع[٨]. فالإنسان يزداد إحساسا بالمكان إذا حرم منه فحين يبتعد عنه سواء كان اختياراً أم إجبارا، فالوطن يمتد داخل هذا الإنسان ويغدو مصدراً للحلم والإبداع وتنشيط المخيلة الخالقة، لتبدأ بتشكيل صور مختلفة عن وطنهم[٩]. فالمكان نقطة رحيل منه إلى مكان اخر، والأماكن كما يقول شولز "أهداف وبؤر تمارس الأحداث ذات المعنى لوجودنا"[١٠]. ونظراً

لأهمية المكان في النص الإبداعي،فأن ذلك النص يكون صيغة لإبداع الإنسان الناشئ عن المكان.

يتشكل المكان في الشعر من خلال اللغة الشعرية التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، كما ان لها نظاماً من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني(١١)، فالنص الشعري تجسيد لغوي لكائن، وانفتاح خارج اللغة على كينونته في الغياب، أي انه بذاته علاقة جدلية بين الحضور والغياب، فالحضور هو التجسد اللغوي للنص والغياب هو البعد الخفي أو البنية العميقة للنص(١٢).

وللصورة دور بارز في تشكيل المكان في النص الشعري،إذ يتشكل المكان مع تشكيل النسق في القصيدة ثم ينحل ويتفتت بانحلاله، فالنسق في النص الشعري يتشكل ثم يكتمل ثم ينحل بعد ذلك، والمكان يتبع النسق في التشكيل ثم الانحلال، واكتمال النسق وانحلاله شرطان أساسيان لفاعليته(١٣).

كما يؤثر الخيال على المكان تأثيراً واضحاً، إذ يعمل الخيال الشعري على إلغاء موضوعية الظاهرة المكانية من حيث كونها ظاهرة هندسية ليحل محلها دينامية الشاعر الخاصة به، وقد يكون عمل المخيلة الشعرية مشتملاً على بعد موضوعي واجتماعي فضلاً عن بعدها الخيالي المجرد، إذ ان الخيال الشعري لشاعر يختلف عن خيال غيره من الشعراء تبعاً لطبيعة تصوراته عن المكان،وما يثيره في نفوسهم من تداعيات تختلف باختلاف الشعراء(١٤).

ولان الشعر هو نتيجة لتفاعل عوامل عديدة داخل الشاعر،فقد نظر الشاعر العربي إلى بيئته المحيطة به أولا فصورها في أشعاره،وهذه البيئة هي المكان الذي عاش فيه الشاعر العربي لذلك فقد انفعل وتأثر بمظاهرها لذلك فقد كان المكان عنصراً مهماً من عناصر عمله الإبداعي(١٥).

ونظراً لأهمية الشعر الإسلامي في تاريخ الأدب العربي فقد عكفت على دراسة المكان عند الشاعر الأخطل وذلك لتوضيح فاعلية المكان في ذاكرة هذا الشاعر بالذات، وإظهار دور الرؤيا الإبداعية للشاعر في خلق وبناء أماكن مفارقة للواقع وكاشفة له في آن واحد، تحقق حلم الشاعر بما يرتسم في مخيلته من أماكن غنية بالألفة والجمال

والنور، ومن هنا فان هذا البحث ينطلق من التركيز على العلاقة الحية بين الإنسان والمكان وما تنطوي عليه ذات الشاعر من رؤية خاصة للمكان ومدى ارتباطها بنظراته الشمولية إلى عناصر الكون والوجود بواقعه ورؤيته له ومستوى الحس المكاني لديه،وقدرته الإبداعية على خلق أماكن فنية من خلال النص الإبداعي بوصفه بنية ثابتة موازية لعالم الواقع بما يكتنزه من دلالات وأبعاد فكرية وجمالية[١٦].

وأخيرا يمكن القول ان شاعر هذا العصر استطاع ان يوظف المكان في قصائده مطمحاً فنياً، ومنحاً فكرياً،مما يثير المكان من معان ثانوية واستدعاءات فكرية وعاطفية وجمالية.

نبذة عن حياة الشاعر:

هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو من بني تغلب (١٩هـ/٦٤٠م-٩٠هـ/٧٠٨م) ولد في الحيرة على الأرجح، وكان مواطن قومه في أواسط الجزيرة بين دجلة والفرات.غلب عليه لقب (الأخطل) لأن لسانه كان سفيهاً بذيئاً.. حرم حنان الأم طفلاً،وعوّض عنه قساوة امرأة أبيه، فذاق مرارة الحياة،وهو بعد ذلك بدأ حياته الشعرية بالهجاء،ويروى ان أول شعره كان بيتين في هجاء امرأة أبيه[١٧]، انتشر في زمانه الهجاء السياسي لكثرة الأحزاب وتناحرها فيما بينها، وكان كل حزب بحاجة إلى الشعراء للدفاع عنه ومهاجمة خصومه فاتصل بالأمويين الذين كانوا بأمس الحاجة إلى شاعر يرد عنهم أذى الأنصار الذين لم يجرؤ احد من الشعراء ان يتهجم عليهم نظراً إلى مكانتهم في الإسلام فوجد الأمويون فيه وهو الشاعر النصراني ضالتهم المنشودة فقربوه وجعلوه شاعر البلاط. تهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة أهاجيهم، وكان معجباً بأدبه كثير العناية بشعره،ينظم القصيدة،ثم يسقط ثلثها،ثم ينشد مختارها. تطرق الأخطل إلى الأغراض الأدبية التي ازدهرت في عصره كالمدح والهجاء والفخر والخمر والشعر السياسي ولكن الصفة السياسية هي الخاصة البارزة في شعره سواء في مدائحه أم في أهاجيه. لانعرف بالتحديد متى توفي وأين ولكن رجح النسابون وفاته في حدود سنة ٩٠هـ،٧٠٨م وقد بلغ

السبعين من عمره،وقد مات على دينه وقد حاول عبدالملك ترغيب الشاعر في اعتناق الإسلام. الا ان الأخطل كان يتعذر ويتخلص بلباقة، ولا يوجد لعقيدته الدينية في ديوانه الا اثر ضئيل(١٨).

– تقسم الأمكنة عند الشاعر إلى أمكنة مفتوحة –أمكنة مغلقة

– الأمكنة المفتوحة:

يقصد بالأماكن المفتوحة الأماكن الطبيعية التي وجدت على الطبيعة ولا دخل للإنسان في تكوينها،وقد سجلت هذه الأماكن حضوراً واسعاً في قصائد الشاعر، واستوعب النص الشعري مفردات وصوراً مستمدة من أماكن الطبيعة.وقد يكون وراء حضور الأماكن الطبيعية بكثرة في النص الشعري هو الشعور بالراحة والانبساط والهدوء الذي توفره الطبيعة عند لجوء الإنسان إليها بما تحمل من ملامح الالفة والبهجة والخصب والانفتاح والتجدد، فالطبيعة تمثل الأم التي يتلفف الإنسان في حضنها،فيحس بالأمان مقابل الإحباط والتمزق والضياع التي تمثلها المدينة(١٩). لذا كانت الأماكن الطبيعية ميداناً خصباً لحمل أفكار الشاعر ومضامينه الاجتماعية والسياسية، وأدوات تشكيل في البناء الفني للقصيدة وإظهار سماتها الجمالية(فالإنسان نتاج بيئته)(٢٠).

وتقسم الأماكن المفتوحة إلى أماكن منخفضة وأخرى مرتفعة.

الأماكن المنخفضة:

الأرض

هي في مقدمة كل المسائل الخطرة التي استنفرت مخيلة الشعراء حيث تكمن الرغبة في السيادة عليها بوصفها جزءً من متطلبات الوطن المكاني في واقع بيئي فرض على احياء كثيرة منهم التعرف والانتشار على ارض الجزيرة ثم اختيار ما شاء لها من الأماكن في ذلك الوطن الكبير(٢١). فنجد الأخطل يحاول تجسيد فكرة الارتباط بالأرض والسيادة وذلك في مديحه لخالد بن عبدالله* يقول في ديوانه: (٢٢)

سَقَى اللهُ أرضاً خالدُ خَير أهلها بمستفرغٍ باتت عزاليه تسحل
إذا واجَهتهُ ريحُ الصّبا في فُرُوجهِ تَحَلَّب رَيّانُ الأسافلِ أنْجلُ

فالشاعر دعا لأرض خالد بالسقي فنزل المطر الشديد وهذه عادة الشعراء في استسقاء المطر للممدوح[٢٣]، فالشاعر يرى ان خالداً هو خير هذه الأرض التي يدعو الله ان يسقيها بمطر شديد الانهمار، فالممدوح في نظر الشاعر هو نعم الفتى الكريم مكرمة كالغيث المرسل على الضعفاء والفقراء في هذه الأرض فالمكان هنا (الأرض) رمزاً للعطاء والكرم،فالعلاقة بين الممدوح والأرض هي علاقة استمرارية تدوم بدوام العطاء فهي صورة تجسد تعانق الأرض والسماء والتواصل العقلي بينهما.

وللحمى في الشعر مكاناً متميزاً بالحماية على الأرض دون سواء بحيث يركز وجود الفرد أو القبيلة في حدود تمنح السيادة والحماية على الأرض والعز[٢٤] وللأخطل أبيات يهجو فيها القيسيين ويشمت بهم لما حل بهم من شقاق فيذكرهم بيوم الثرثار ويتهدد سائر القبائل بالجيش التغلبي فيقول: [٢٥]

فأضحَى رأسُهُ ببلادِ عَكٍّ وسائرُ خلقِهِ بجَبا بُراقِ
تعُودُ ثعالبُ الحَشَّاكِ منهُ خَبيثاً ريحُهُ باديَ العُراقِ
وإلّا تَذْهبَ الأيّامُ، نَرفُدْ جَميلةَ مِثلَها قَبلَ الفِراقِ
بأرضٍ يَعْرِفُون بها الشَّمرذَي نُطاعنُهُم بفتيان عِتاقِ
وشيب يسرعون إلى المنادي بِكأسِ الموتِ،اذكُره التَّساقي

يبين الشاعر حدود هذه الحمى فيشير إلى مدى شجاعة التغلبيين فهم يقاتلون الأعداء بشباب كرام مدربين وشيب يسرعون إلى الموت إذا ما دعاهم الواجب واشتداد أوار الحرب وما مديح الشاعر بالتغلبيين في هذه الأبيات الا مديح للسيادة على الأرض والتي تحولت في وجدانه إلى كيان نفسي قد لا يحدث شيئاً دون سواه،ومما يؤكد هذا الشعور وجود عدد من الدلالات اللفظية وضعت قصداً للتعبير عن طموح الشاعر في السيادة،ووسع بها معطيات تلك الأرض بكلمات نذكرها حصراً (بلاد عك، جبا براق، بادي العراق، الحشاك)* حتى لكأن هذه المفردات نبضات متوقدة في شعوره،تعكس هاجس السيادة على الأرض.

و تشكل الصحراء المكان التاريخي المفترض للوعي الأول عند العرب، كونها الفردوس الأرضي المماثل في حلم الشعراء، وهي الملهم بوصفها بنية شعورية ثاوية في العقل العربي[٢٦]، وقد تكون الصحراء عالماً منفتحاً على دلالات كثر، إذا أحسن الشاعر رسمها، ووفق في جعلها لوحة داخل نص مدحي أو نص غزلي، فالصحراء تدل على القوة والجلد والصبر، وتكمن هذه الدلالة بقطع الإنسان لها، وبتحمل أعباء هذا القطع وما يخلفه من نتائج، وهي تدل على الحرية في التنقل والحركة وممارسة الأعمال التي يريدها بنوالبشر أنى شاؤا[٢٧].

والشعر الأموي نشأ في بيئة غنية في مظاهر الصحراء ورمالها وكثبانها، ففيها نشاهد أبعاد المكان الصحراوي بوضوح وجلاء، فهذه الفلاة وما تحوي من عناصر أخرى كالناقة القوية والرياح والسراب ورحلة الظعائن تأتي في مقطوعة متسقة التركيب والصياغة للأخطل، تمتزج فيها هذه العناصر إلى أحاديث الذكريات المشجية التي تبدو متخفية بعض الشيء خلف مدلولات الصحراء، فيقول [٢٨]

وَبيداءَ ممحالٍ، كأنَّ نعامَها ... بأرجائها القُصوى، اباعرُ هُمَّلُ
ترى لامعاتِ الآلِ فيها، كأنَّها ... رجالُ تَعرَّى، تارةً، وتسربلُ
وَجَوزِ فلاةٍ ما يُغمضُ ركبُها ... ولاعينُ هاديها من الخوفِ تَغفُلُ
بكُلّ بعيدِ الغولِ، لا يُهتدي لهُ ... بعرفانِ اعلامٍ، وما فيه مَنْهلُ
ملاعبُ جنّانٍ، كأنَّ تُرابَها ... إذا اطَّردَتْ فيه الرياحُ مُغربلُ

يصف الشاعر هنا الصحراء التي اجتازها فهي ماحلة وخالية الا من النعام التي تمرح بأرجائها كالاباعر التي لا راعي لها، ويبدو السراب فيها تارة كرجال عراة، وطوراً كرجال مرتدين الثياب، فهذه الصحراء يستحيل على من يجتازها النوم حتى ان من يهديهم سواء السبيل لا يغمض له جفن من شدة الخوف لخلوها من الاعلام التي تهدي الضالين ومن الماء الذي يروي غليل العطاش، يسبغ الأخطل على الصحراء هنا مظاهر الخوف والغربة والوحشة وربما أراد من هذا التعبير عن مشاعر دفينة تركتها فيه ظروف الحياة التي عاشها،فقد حرم حنان الأم طفلاً وعوض عنه مساوئ امرأة أبيه. لقد كانت رحلة

الشاعر صعبة ومتعبة لاسيما وان رحلته كانت بصحراء واسعة وانها قطعت مسافات طويلة على ناقة اصابها الإعياء الشديد فبقيت هذه الفلاة واسعة وموحشة.

ويستمر الشاعر في وصف هذه الفلاة المخيفة كعادته في مديحه إذ يمعن في وصف الفلوات والفناء الذي يعانيه مع مطيته على غرار الجاهليين قبل الوصول إلى غرضه الذي هو المدح، فيقول: (٢٩)

أجـزتُ، إذا الحِربـاء أوفَـى كأنَّـهُ مــلٍ يمـــان أو أســيرٌ مُكبَّــلُ
إلــى ابـن أسـيد خالـد ارقلـت بنـا مسـانيفُ، تعْـرَوزْي فـلاةً تَغـوَّلُ
تَـرى الثَّعلَـبَ الحـوليَّ فيهـا كأنــه إذا ما علا نشزاً، حِصانٌ مَجللُ

فالشاعر قطع تلك الفلاة في الهاجرة إذ يكون الحرباء منتصباً يتجه نحو اليمن أو كأسير مقيد بالسلاسل وهو قد اجتاز تلك الفلاة المخيفة على ناقة أصابها الإعياء الشديد لينتجع دار ممدوحه خالد بن أسيد.

أراد الشاعر من هذا الوصف ان يسبغ على هذه الصحراء صفة الخوف والعداء والسعة والوحشة وذلك من خلال التشبيه في الأبيات بصورة تجعل المتلقي يذهب عميقاً في تأمل الأبيات ويوسع في فهم مضامينها،وأمام هذه الصعاب والمشاق التي يخلقها المكان الصحراوي،الا ان الأخطل يزيد من فاعلية النص ويوغل في توظيف المكان توظيفاً متميزاً عندما يأتي بالناقة والذئب ويصفها وصفاً خارجياً،يقول فيها:

تَرَى العرمسَ الوجنـاءَ يَضرِبُ حاذها ضَـئيلٌ كَفَـرُّوج الدَّجاجـةِ مُعجَـلُ
يَشُـقُّ سـماحِيقَ السَّـلا عـن جَنينهـا اخُو قفرةٍ بـادي السَّغابةِ اطْحَلُ*

أراد الأخطل من وصف الذئب ان يعرج على مغامرة حدثت أو معركة وقعت وهي اعتراض الذئب لتلك الناقة وافتراسه لوليدها، فاكتفى بيان صفة الغدر. لقد استوفى النص دلالاته التي يريدها في لوحتي الصحراء والناقة وصراعها مع الذئب اللتين عكستا الواقع الذي كان يعيشه من صراع بين الأحزاب وتناحرها فيما بينها.ان تناول الشاعر لهذه

العناصر الصحراوية والتعامل مع أجزائها الدقيقة يمثل الإدراك الحقيقي لقدرة الشاعر على الاستجابة وتمكنه من تمثل هذا الواقع تمثلاً إنسانيا واعياً[٣٠]. فثمة عناصر حسية أخرى تكون مجاهل أرضية مخيفة.تلك هي الطرق الصعبة التي تشكل مضامينها حلقة مهمة من حلقات حياة الشاعر، وهو يتجشم الصعاب في رحلته الطويلة على ناقته التي تقطع لوحة الصحراء من جانبها الموحش يقول الأخطل: [٣١]

فَتَنَهْنَهـتْ عنـــهُ وَوَلَّـــى يَقْتَـــري ... رَمْـــلاً بجُبَّـــة تـــارةً ويصَـــومُ
يرعـــى صـــحاري حـــامر اصـــيافها ... ولـــه بخنيـــف منتـــأى وتخـــوم
وَفـــلاةٍ يَعفـــور يُحاربهـــا القطـــا ... وكأنَّمـــا الحـــادي بهـــا مـــأمومُ
قـــد جبتُهـــا لمّـــا تَوقَّـــدَ حـــرُّها ... إنـــي كـذاكَ علـى الأمـورِ هَجُـومُ
اســـــرَيتُها بطوالـــــةٍ اقرانـــــُها ... يَـبغْمَن وهـيَ عـن البُغـام كَظُـومُ

يوغل الأخطل في دلالات الصحراء بصورة أعمق فيسبغ عليها مظاهر الخوف والوحشة ويفخر باجتياز فلاة مقفرة في الهاجرة يغشى السراب اعلامها لا يقيم فيها الا الظباء وتحار فيها القطا دون ان يأبه للحر الشديد أو للخوف الذي يفقد المرء وعيه فيجعله كمن شجت أم رأسه لكنه مع ذلك كله شجاع يقتحم الأهوال ويذلل الصعاب على ناقة شديدة الاحتمال، تبغم خاصرتاها من الجوع فتكتمه فمطيته سريعة العدو تجتاز المسافات.

ان النص مزدحم بالأمكنة التي تشكلها الطبيعة ولكن الذي يبدو ان الأخطل أراد من ازدحام هذه الأمكنة التعبير عن مشاعر دفينة تركتها فيه ظروف الحياة لاسيما بعد ان ابتعدت عنه النساء لكبر سنه وهزاله فقطعن به كل صلة واثر فيه الوساوس والهموم،فربما كانت هذه الأمكنة هي المفرج عن تلك الهموم والوساوس التي تركت شاعرنا مقيداً عاجزاً عن القيام بأي عمل والا ما الذي جعله ينتقل من وصف الصحراء إلى وصف طيف صاحبته في الأبيات التي يعدها فالشاعر هنا يفتخر باجتياز الصحراء والظفر بكلاب الصيد ولكن هذا الظفر كان صعباً لاسيما وان رحلته كانت لمكان واسع وانها قطعت ليلاً دون ما يسلي أو ينير فبقيت هذه الصحراء ظلماء واسعة وموحشة.

البحار والأنهار

يلتقي البحر مع النهر في اتساعهما للتعبير عن بعد المسافة بين الإنسان وهدفه فالبحر بسعته وعمقه يمثل عالماً مجهولاً يثير إحساسا بالضياع كما ان النهر بسعته عالم مجهول يوحي بالهلاك، ويأتي التشابه بين البحر والنهر في تشابه مادتي كل منهما، فالماء رمز خصب وحياة وعطاء دائم وخير،ويغلب استخدام البحر على النهر عند كثير من الشعراء منهم شاعرنا الأخطل،ولعل السبب في ذلك هو انه عالم غير متناه من الدلالات والرموز فالبحر يرمز إلى الموت والحياة، الغرق، الثروة، والسعة والانفتاح والأمل والحب والرزق والهدوء والثورة والمجهول والصفاء والعنفوان وغالباً ما استخدم الشاعر صورة الأنهار والبحار ودلالاتها في المديح لإظهار فيض الممدوحين وكرمهم وعطاءهم.فالبحار والأنهار تمثل الفضاء المدهش خارج مدى اليابسة،حيث وصلت إليه مخيلة الشاعر واختارته واقعاً حسياً متحركاً من حياة العرب يتعانق دائماً مع ارض الصحراء في رحلة الظعائن،مثلما يقترن النهر بغرض المدح [٣٢]،وكثيراً ما يقترن ذكر البحر بالكرم والعطاء من ذلك قول الأخطل في مدح عبدالملك بن مروان بالجود والكرم:[٣٣]

فكم جاوزَتْ بَحراً، ولَيلاً يَخضُنَه إليكَ أميرَ المؤمنينَ، ومن سَهْبِ
عَوادِلَ، عُوجاً عن أناس، كأنَّما ترَى بِهِمِ جَمْعَ الصَّقالبةِ الصُّهبِ

في هذه الأبيات يصف الشاعر العذاب الذي قاسته تلك الناقة في سبيل الوصول إلى أمير المؤمنين (فقوله (فكم جاوزت بحراً) إشارة إلى ان البحر عنده رمز للفيض والصخب والعطاء والكرم) جسد فيه الشاعر صورة ممدوحه من خلال تفاصيل مشهد العذاب الذي قاسته الناقة للوصول إلى الأمير،وقد يكون البحر هنا رمزاً للأهوال الصعبة التي لا يقدر عليها احد غير الشاعر لذا كان البحر مكاناً باعثاً للفخر الفردي من خلال مشهد الكرم، فالبحر هنا بؤرة تعبيرية عن كثير من المعاني التي تسير في اتجاه واحد.

وقد يكون الممدوح مجرد من العطاء والنماء في نظر الأخطل يقول في مدحه للوليد بن عبدالملك:(٣٤)

كــلا أبويــكَ مِــنْ كَعْــبٍ وعَــبسٍ بُحــور مــا توازنهــا بُحــور

فالشاعر يمتدح الممدوح بأصله الرفيع وبأسه في القتال فالشاعر هنا جمع المجد من طرفيه وان أجداده بكرمهم وسخائهم أشبه بالبحور الفياضة فاستخدام الشاعر للبحر هنا يدل على حجم وكبر المسافة التي يحتلها الممدوح في نفسه، فمسافة البحر لا تتحداها أي مسافة،لذا كان البحر هنا حافزاً للتعبير عن عمق وضوح الممدوح، وقد يكون البحر هنا تعبيراً عن حياة هذا الممدوح المليئة بالانتصارات وبالخصال الحميدة كالكرم والشجاعة والتضحية والمروءة... الخ من الصفات الحميدة.

وقد يستخدم الأخطل البحر للفخر بنفسه وقومه وتعجيز خصمه جرير فيقول:(٣٥)

فَاقْعُـدُ جَريـر فقـد لاقيـتَ مطلعـاً وَعْـراً ولا قـالَ بَحـراً مُفْعَـم جـارِ

فالشاعر يحط من قدر خصمه ويصف نفسه بشيئين المطلع الصعب والوصول، والاخر كالبحر في العطاء والكرم وقول الشعر،فليس ذلك مكان بين الاثنين، وهنا يلزم شاعرنا خصمه بالقعود ويقلل من شأنه وتعجزه عن المنافسة والأخطل له العز والشرف وهو المرتقى الصعب الذي يصعب على الخصم مجاراته وهو البحر الهائج يغرق كل من يحاول الاقتراب منه.

الأماكن المرتفعة:

الجبال:

تعد الجبال من المظاهر المميزة التي جلبت نظر الإنسان وشغلت فكره في حله وترحاله، فراح يصف عظمتها وشموخها ويرمز لها في شعره برموز دلت على أبعاد مختلفة، فقد تحدث الشعراء عن الجبال في أثناء حديثهم عن المفاوز،وقدرتهم على اختراقها وعبورها بإبل تقرب البعيد وتصل ما تباعد منها(٣٦) فولدت في نفس الشاعر صورة الخلود والبقاء وضربوا بها المثل في الصبر على النوازل(٣٧). لقد جاء وصف الجبل

بمواقع مختلفة ودلالات متباينة عند الشعراء، فقد دل على الجمال والرهبة فضلاً عن الشموخ والثبات، فالجبل عند الأخطل إحدى الرموز التي تدل على الشموخ والثبات، فقد اسبغ عليه مشاعره وجعلها تشارك فخره بالنصر على الأعداء فيقول في إحدى قصائده: (٣٨)

وَمَا بَلَغَتْ خيلُ امرئ كانَ قبلَهُ بحيث انتَهتْ آثارُهُ وَمَحاربُهُ
وتُضْحي جِبالُ الرُّوم غُبراً فجاجُها بما أشعَلَتْ غاراتُهُ ومَقانبُه

يمتدح الشاعر الوليد بن عبدالله شجاعته فخيله قد بلغت مالم يبلغه من سبقه من الخلفاء من خلال الفتوحات التي حصلت في عهده فقد كان يقتحم جبالها ويشن عليهم الغارات مشعلاً نار الحرب ومثيراً غبار المعارك،فاذا كان (الجبل) هنا اقترن عنده بالانتصار على الأعداء فهو رمز للصمود والثبات.

وقد يقترن ذكر الجبل بالحديث عن ديار الاحبة ومواضع سكناهم وفي ذلك يقول الأخطل أثناء مدحه لبشر بن مروان بالكرم:(٣٩)

صَحا القلبُ عن أروى، وأقصَر باطلُهُ وعادَ لَهُ من حُبّ أروى أَخابلُه
وقد كانَ مِنها مَنزِلاً نستلذَّه أُعامِقُ بَرْقاواتُهُ فأحَاولُهْ*
وأدَّتْ الينَا عَهْدَها أمُّ معمرٍ فقد جَعَلَتنا كالخليطِ نُزايلُهْ
دَعَتْها نَوى عَنا شَطُونٌ وليْتَها ثَوَت ما ثوت عند الكلابِ جَنادِلُهْ
رأتْ انَّ رَيعانَ الشَّبابِ انجلى وأنَّ مشِيبي حاضَرَتْني عَواجِلُهْ
فأصَبحْتُ كُوفيّاً، وأصبَحَ أهلُها مَخارِمُ مردٍ، دُونَهم، أَبازِلُهْ

يصف الشاعر في هذه الأبيات مشاعره بعد ان تركته حبيبته أم معمر وخالفت عهدها وجعلته كالصاحب أو الشريك المفارق فهي قد عزمت على الرحيل بعد ان رأت شبابه قد زال والمشيب قد دب في رأسه،فهو يتمنى لو ان حبيبته قد لازمت ذلك المكان

وهو جبل يدعى(كليب) ملازمة صخوره الكبيرة له، لكنها مخارم مرد وهي جبل يدعى بالخابور.

يتبين من النص انه مزدحم بالأمكنة التي تشكلها الطبيعة فقوله (غامق–برقاوات–الاجاول–الكلاب–مخارم مرد–ابازل) كلها تسميات لأمكنة طبيعية مما يدل على ذهوله وولعه بحب حبيبته، وربما تكون هذه الجبال التي ذكرها الشاعر شواهد حيه على تجربته مع محبوبته لذا وجد في الجبل صورة عبر من خلاله عن مشاعره في الجبل، لقد استطاع الشاعر ان يحقق خلوده حين افلت من مسار طوابعه العامة المألوفة إلى طوابع جديدة خلفتها فلسفة الشاعر التي أنطقت هذا الجبل بالحكمة والمعرفة البشرية بالحزن الدفين[٤٠].

الأماكن المغلقة (الاليفة):

نعني بالمكان المغلق اوالاليف هو ما تدخل الإنسان في صنعه وتكوينه،وتقف هذه الأماكن على طرفي نقيض مع الأماكن الطبيعية[٤١] والإنسان بطبيعته لا يستقر على مكان واحد،والتفكير بمكان آخر قائم في كل حين.فالإنسان في الريف يحلم بالمدينة،وفي المدينة يحلم بالريف[٤٢]. ويبقى هاجس البحث عن بيت الالفة هو المحرك للتفكير والحلم بمكان آخر لذا كانت رؤية الشاعر للاماكن الاليفة وتعامله معها وعلاقته عنده بيت الطفولة ومدى قدرة هذه الأماكن على منحه الشعور بالألفة والاستقرار ومن هذه الأمكنة الأليفة:

الدار:

يمثل الدار موطن الألفة في حياة العربي فهو مكان المأوى والحماية والسكينة وقد سمي بالمسكن لتضمنه معنى السكينة والأمان[٤٣]. والدار في الشعر تبنى خصائصها من مجموع القيم السائدة، وهي قيم مطلقة تعبر عن الوعي الخاص بالشاعر تجاه نفسه، وقبيلته أحيانا، وتجاه الزمن والأحداث فقد تكون منفذاً عاطفياً يصل به وصف الشاعر إلى تجسيد صورة المرأة التي احب من مثل قول الأخطل في مدح بشر بن مروان بالكرم.[٤٤]

سَقَى اللهُ مِنهُ دارَ سَلمَى بريَّةٍ على أَنَّ سَلمَى ليسَ يُشفَي سَقيمُها

مِـن العَرَبيـاتِ البـوادِي، وَلَـم تكـنْ تلوّحُهـا حمَّـى دمشـقَ وقُومهـا

فالشاعر يذكر صاحبته ويطلب لها السقيا مضيفاً ان من يعلق بحب صاحبته يظل طول عمره سقيماً لا يشفيه أي دواء،فصاحبته هذه من عرب البوادي فهي لم تقطن حواضر الشام ولم تلوحها شمسها المؤذية كالحمى وسائر أمراضها. والدار هنا تجاوزت حدودها المعرفية فاقترن ذكرها بالمرأة وهي (سلمى) فحملت الدار عواطفه وبث فيها أشواقه ومعاناته ومرضه من حبه لها.

ان أهم ما يميز ذكر الديار في الشعر بوصفها أماكن جذب شعوري هي ظاهرة التحول المكاني المعبر عنها برحيل القوم عن الديار أو تحولهم عنها وانتقالهم إلى مواطن أخرى بفعل عوامل اقتصادية وأخرى اجتماعية خاصة بهم فلا يبق منها غير الأطلال والرسوم أو الآثار المقفرة من ذلك قوله: [٤٥]

أتعـرفُ الـدّارَ،أمْ عِرفـانَ مَنْزلـةٍ لـم يَبْقَ غيـرُ مُنـاخِ القِدرِ والحُمَـمِ
وغيْـرُ نـؤيٍ رَمَتـهُ الـرّيحُ اعصَـرهُ فهو ضَئيلٌ كَحَوض الاجِنِ المهَدِمِ
كانـتْ منـازلَ اقـوامٍ، فغيَّـرَها مرُّ الليَّالي، ونَضخُ العارضِ الهَزِمِ
وقـد تكُـون بِهـا هِيـفٌ مُنَعَّمـةٌ لا يَلْـتفِعنَ علـى سـوءٍ وَلا سَـقَمِ

يجرد الشاعر من نفسه شخصاً يخاطبه مفتتحاً كلامه بأداة الاستفهام وهو تمهيد يمنح الشاعر الانطلاق إلى وثبة جديدة أكثر تخصيصاً للمعنى المطلوب ويدل على وعي سابق بمعرفة المكان وليس الغرض منه التمويه بحيث ما تلبث ان تحصل على الاجابة من الشاعر نفسه وبصورة مباشرة في البيت نفسه بقوله هل تعرف دار أو منزلة امحت اثارها ولم يبق منها الا موضع القدر وبعض اثار احتراق النار والنؤي الذي عبثت به الرياح فبدا ناحلاً يكاد يزول كحوض ماء آسن.ان هذه اللوحة نتجت من الاثر النفسي الذي احدثته طقوس الوقوف على اثار الديار الخالية، وتذكر أهلها الظاعنين عنها،ومن الحس الوجداني الخاص بتحديد مواضعها بطريق (الاسترجاع) والوعي الراسخ بها مدى

الدهر،والشعور بالذهول من ثقل الزمن على مخيلة الشاعر، كما نتجت صورة الطلل من الوصف المكاني الذي تناول جزئيات الأشياء منها ويحصي آثارها من احجار ورماد ونؤى ومن الاستغراق في البكاء.

ان التحول عن الديار سواء كان موضوعياً أو مفترضاً،يشكل لوحة فنية متكاملة تطالعنا دائماً في مقدمات القصائد التي آلت إلى شعراء المرحلة المبكرة تراثاً تقليدياً مهيأً لحديث الحالة النفسية الشفافة التي تمتلك الأحاسيس في لحظات استرجاع صور الماضي المفقود أيا كان باعثها الآني عند الشاعر، ومن هذه الصور ما رسمه لنا الأخطل في مديح يزيد بن معاوية حيث أضفى على لوحته تشخيصاً حياً لواقع الديار الخالية. (٤٦)

تَغيَّـرَ الرسْـمُ مِـن سـلمى بأَحفـارِ وأقفَـرَتْ مـن سُـليمَى دِمْنَـةُ الـدّارِ
وقـد تكـون بهـا سَـلمى تحـدثني تَسـاقُط الحَلْـي حاجـاتي وأسـراري
ثـم اسـتبدَّ بسَـلمَى نِيّـة قَـذَفٌ وَسَـيْرُ مُنقضِـبٍ الأقـرانِ، مغيـارِ

فالتغير قد أصاب المكان وهو (الدار) التي كانت تقطنها سلمى بأحفار وخلت مرابعها منها،فالشاعر يتذكر ايامه الماضية حين كان يجتمع مع صاحبته في تلك الدار يتحادثان فيما يريد ويكتمه وكان حديثهما يتساقط كتساقط الحلي رقة وعذوبة،فقوله (تساقط الحلي) استعارة أراد بها عذوبة الكلام.يبدو من هذه الأبيات ان الشاعر غير متألف مع المكان لأن الدار هنا تعكس الحس المكاني للشاعر فيرمز إلى عالم الشاعر الداخلي وعلاقته بالعالم الخارجي، فالاخطل كان كثير الهجاء للانصار الذين لم يجرؤ احد من الشعراء ان يتهجم عليهم لمكانتهم في الإسلام فكان العالم الخارجي مليء بالخصومات والنزاعات بينه وبين شعراء خصومه كأمثال جرير والفرزدق،فانتشر في زمانه الهجاء السياسي لهذا كانت الدار هنا مأوى يلجأ إليه من صخب الخارج.

و تأخذ المنازل في الشعر بعداً اجتماعياً يفوق محدودية الديار وتتجاوز احياء القبيلة بحيث يحيط بكل امتداد جغرافي لمضارب ويعبر عن المحلية والثبوت في الحواضر والإقامة، والتوطن النسبي لزمن طويل في البادية(٤٧). والأخطل من الشعراء الذين جسدوا المعنى القبلي للمنزل لمفهومه الواسع وغالباً ما يرد ذكر المنزل في المقدمات الطللية ذلك

"لان الأطلال في أحوالها كافة تعد بداية المرحلة الشعورية التي تمر من خلالها احاسيس الشاعر وتنشط بعدها أفكاره،لتتناسق في إطار موضوع متكامل"[٤٨]. فالمقدمة الطللية من أكثر الانساق الفكرية واشدها تعقيداً، واذا ما استقرائنا شعر الأخطل نجد ان هذه المقدمات ليست صوراً مكانية جامدة أو محدودة وانما هي مواقع لافكار وممارسات بل هي بمثابة الصياغة المباشرة للفعل وهو يفعل في المكان المألوف واليومي افعالاً تحتوي نظرة كونية [٤٩]. ومن هذه المقدمات قوله في إحدى قصائده مفتخراً بأصالة قومه وكرم محتداهم وكرمهم: [٥٠]

قَفــا يــا صــاحبي بِنَــا ألمــا ... علــى دِمــنِ نُســائِلها ســؤالا
قَفــا زُورَا مَنَــازل أم عمــرو ... وَرَســماً بالمَنــازلِ قَــدْ أحَــالا
اهاضَـيبِ الـدجى مـن كـل جـون ... وســقاها بعــدَ ســاكنَها سِــجالا
فَكَــمْ مِــنْ وَابِــلٍ يَــأتي عِليــها ... يلُــثْ بِهــا وَيحتفــلْ احتفَــالا
فَــدَارُ الحَــيِ خَاليَــة قَليــلُ ... بِهــا الأصــوات إلا انْ تَخَــالا

يخاطب الشاعر على سنة الجاهليين صاحبيه، ويدعوهما ان يعرجا على آثار حبيبته ليسائلها عما مضى فهو يدعوهما إلى زيارة منازل صاحبته ومشاهدة اثارها الدارسة. فهذه المقدمة في ترابط عناصرها وتشخيص اماكنها، متميزة بثقل الحدث وضبابية الزمن واحتواء الفكرة،فالمنزل هو المكان الأساسي في هذه المقدمة الذي تثري من خلاله رمزية الفكرة في النص،حيث يختفي وراء حدث (الوقوف) و(الزيارة) المغزى النفسي الذي أغنى التجربة الشعرية، ومما يؤكد هذا المعنى التكرار الحاصل في كلمة المنازل، فكل شيء في هذه المقدمة دافق بالحركة، فقد استعاد الشاعر الصورة الحسية المختزنة والمعاني المدركة من تلك الصور ثم اعاد تشكيلها من جديد على نحو يشابه الواقع[٥١]، لقد استطاع الشاعر ان يضفي على المنازل سمات الواقعية البسيطة التي استمدت بساطتها من رسمها للواقع رسماً مباشراً دون مبالغة فيه أو تزييف له.

وتتوضح صورة المنازل بصفتها المكانية الثابتة حيث تتوطن القبيلة ويتركز معنى الدقة الواقعية عندما تقترن المنازل بذكرها بالمرأة الحقيقية أو الرمز حيث يوظف كل منهما فنياً وفكرياً في مطالع القصائد فحملوها عواطفهم واشواقهم من ذلك قوله في هجاء جرير: (٥٢)

أذكَـرْتَ عَهـدَكَ فاعترتْـكَ صَبـابةٌ وذَكَـــرْتَ مَنْزِلـــةً لآلِ كَنُـــودِ
أقْـوَتْ، وغيَّـر آيَهـا نَسـجُ الصّـبا وسِـــجالُ كـــلِّ مُجَلجِـــلٍ محمُـــودِ
ولقـــد شَدْت علـــى المَراغَـــة حَتّـــى نَزَعْـتَ وأنـتَ غيـرُ مُجيـدِ
سَـــــــــــــــــــرْجَها

يجرد الشاعر من نفسه شخصاً، ويخاطبه بأسلوب الاستفهام:هل ألمّت بك الذكرى فأثارت بك الشوق إلى دور آل كنود، فالبيت يكشف باسلوب الاستفهام عن الحاح الشاعر في البحث عن منزلة الاحبة،فتلك المنازل قد اقفرت وخلت من سكانها، وقد غير معالمها ريح الصبا وتساقط المطر المصحوب بعصف الرعد،وفي تكرار الفعل الماضي (اذكرت) دلالة على عتاب الأحبة وبقاء الآثار الدارسة.

وعادة ما يجري الشعراء على السنتهم تحديد مواقع الديار والمنازل بأماكن فعلية متتابعة أو بمواضع حقيقية،عاشتها قبائل العرب في حياتها،ويبرز تحديد هذه الأماكن غالباً في الافتتاح الشعري من ذلك قول الأخطل في إحدى افتتاحياته: (٥٣)

حَـيّ المَنـازِلَ بَـيْنَ السَّـفحِ والرُّحـبِ لـم يَبْقَ غَيرُ وشُومِ النـارِ والحَطـبِ
وعُقّـــرٍ خالـــداتٍ حـــول قُبتهـــا وطـامسٍ حَبَشـي اللَّـون، ذَي طَبـبِ
وغيـرُ نُـؤيٍ قـديمِ الأثْـر، ذي ثُلـمٍ ومُســتكين أمــيمِ الــرأسِ مُســتلَبِ

فالشاعر هنا يحيي المنازل بين السفح والرمن(٥٤)، فلم يبق من هذه الاثار الا النار والحطب،أما حجارة الاثافى فهي في مكانها حول رماد اسود اللون حول الخيمة ووتد ثابت في الأرض، فهذه الأماكن الجغرافية التي تحيط بالمنازل المقصودة في الشعر ما هي الا دلالات أرضية مألوفة راسخة في عقل الشاعر،تتحول في اللاوعي إلى دلالات

نفسية، تأخذ ابعادها وما يحيطها مكللة بشحنات عاطفية دافقة ترتسم من خلالها الاشكال الإنسانية التي أراد الشاعر ان يعبر عنها [٥٥]. فبالرغم من ان الشاعر لا ينفجر بالبكاء الا انه يظهر مستسلماً للقدر الذي حول تلك الدار إلى قفار،ذاكراً أهلها من حيث احتملوا، وواهباً المخيلة قوة المقابلة بالاحداث التي تعصف بالاشياء الجامدة والحية، فهذه المنازل قد اضحت خالية وغيرتها الرياح، فالشاعر إذا اتخذ من المكان والزمان والمرأة أرضية للبناء الفني في قصيدته.

القصور:

تعد القصور مظهر مهم من مظاهر السيادة وقد اختص بها (الملوك) في حواضر كثيرة من بلاد العرب،وبالغوا في البذخ على مظهرها الحضاري،فغدت معالم واضحة تشير إلى سلطانهم وهيبة ملكهم على الأرض،وقد تحدث عنها الشعراء في كثير من أشعارهم ومن أهم القصور التي جاء وصفها في شعر الأخطل قصر السدير والخورنق،اللذان كانا مادة خصبة لكثير من الشعراء فيقول في مدح بني عبس*: [٥٦]

هُـمُ عَطَفُـوا علـى النُّعمـان لمّـا أتـــاهُ بتـــاجَ ذي مُلـــكٍ بَشـــيرُ
فجـــازَوْهُ بِنُعمـــــاهُ عَلـــــيهِمْ غَـــداةَ لَـــهُ الخَوَرنـــقُ والسَّـــديرُ

يمدح الشاعر في هذه الأبيات بني عبس الذين ساعدوا النعمان على استرداد حكمه وملكه من كسرى، فقوله (غداة له الخورنق والسدير) إشارة إلى ذكر القصور فقد عدهما رمزاً من رموز السيادة والحكم فينفذ منهم في شعره ليصف سلطان النعمان وملكه وشجاعته وكرمه وعزمه على تحقيق ما يبتغيه.

الأمكنة المعادية: (القبر–السجون–الثغور)

ترتبط الأمكنة المعادية بشكل مباشر بحالة الأديب النفسية،فالمكان هنا في ضيق مستمر وفي منأى عن دواعي الفرح والسرور، وربما يكون مفارقاً جماعة من الأهل والأحباب، لذا فالشاعر إنما يحاول الهروب عن مثل هذه الأمكنة حتى ولو كان بصورة خيالية يوحي إليها النص الشعري،فبهذا الهروب يتحول المكان إلى رمز وقناع لحالات

الشكوى والعذاب التي تختفي وراء هذا النص أو ذاك، ويسمح لفكر المبدع ان يتسرب من خلاله إلى الآخرين فيبثهم شكواه وعذابه.(٥٧)

ومن هذه الأمكنة:

القبر:

هو النتيجة الحتمية التي يؤول إليها الإنسان بعد حياة طويلة مليئة بالأعباء والصعاب،وهو شاهد العبرة والاتعاظ الطبيعي الذي لا يحتاج إلى كلام لأننا وبمجرد النظر إليه نتمثل أناسا كانوا يعيشون معنا ويرافقوننا في حياتنا، وإنهم غادرونا لحياة أخرى تاركين لنا ذكرياتهم وأهليهم وما يذكرنا بهم، فبذكراهم تتفتق القريحة وتجول النفس باحثة عن عاطر كلمات الأسى والحزن لتعبر عن صبرها وسلوانها بما فقدت، وفي القبر يتوحد الزمان والمكان فيتحولان لشيء واحد، فالقبر تدوين لحادثة ووقت وزمن ما انتهت بالموت ولمكان تلك الحادثة كأن يكون البيت أو الشارع أو ساحة حرة أو ما إلى ذلك(٥٨).

واذا ما القينا نظرة متأملة في ديوان الأخطل نجد له مقطوعة رثائية واحدة يرثي فيها يزيد بن معاوية مشيداً بمآثره ومظهراً تفجع النساء عليه ومستمطراً عليه شأبيب الرحمة، يقول فيها: (٥٩)

لَعَمري، لَقد دلَّى إلى اللَّحد خالدٌ ... جِنازةَ لا كابي الزِّنادِ ولاغُمرِ
مُقيمُ بجوّارين ليس يَريمُها ... سَقَتهُ الغَوادي من ثوىً ومن قبرِ
تَصيحُ الموالي أن رأوا أمُّ خالدٍ ... مُسلّبةً تبكي على الماجدِ العَجْرِ

فالشاعر يرثي يزيد بأبيات تفيض حزناً ولوعة على فراقه، فالمرثي في نظر الشاعر هو امرؤ عظيم العقل والقدر،فهو يطلب الرحمة له وذلك باستسقاء المطر عليه وعلى قبره كعادة الشعراء في هذا المجال.(٦٠) وقد تنبه د. حسين يوسف خريوش إلى ظاهرة السقيا التي شغلت القصيدة العربية،يقول(ولهذا عميق الدلالة فأن الشاعر بعد ان استنفذ وسائله البكائية الشخصية في الأجزاء الأولى من القصيدة بالجدية والاهتمام،نراه يميل إلى السقيا في وضع استسلام،وهذا طبيعي في موقف التضرع للقوة العليا)(٦١). فالقبر قد ضم محامد المرثي واخلاقه من علم وتقوى وصلاح لهذا استدعي الشاعر لقبر المرثي بالغمام والمزن

سقياً لـه فكأن الشاعر يريد من السقيا الاستذكار المعنوي لذلك الفقد والضياع.كما ان الشاعر لا يكتفي بذكر القبر فقط بل يذكر معه مرادفاته كاللحد، والثوى في مشاهد يصور فيها عظيمة رزئة.

وبالرغم من خلو شعر الأخطل من موضوع الرثاء إلا ان هذا لا يعني ان شعره لا يخلو من مفردات تعبر عن القبر واللحد والرمس والدفن وذلك في إطار فن المديح كقوله في مدح يزيد بن معاوية داعياً الله ان يثيبه على حمايته له: (٦٢)

أمّا يزيدُ، فأنّي لستُ ناسيَهُ حتّى يُغَيّبَني في الرَّمْسِ ملحُودُ
جَزاكَ ربكَ عن مُستفردٍ وَحَدٍ نفاهُ عن أهلهِ جُرمُ وتَشريدُ

فالشاعر لن ينسَ فضل يزيد الذي انقذه من الموت حتى يموت ويغيب في الرمس فالله سبحانه سيجازيه على ايوائه للضيف المشرد الذي تخلى عنه اهله لجرم اتهم به انه ارتكبه.

نلاحظ في هذه الأبيات ان الشاعر استخدم القبر ولكن بدلالة أخرى وهي التحول من المكان المفتوح وهو المدينة إلى المكان المغلق وهو اللحد، وهو المستقر الاخير لحياة الإنسان، مدركاً ان ممدوحه سيخلد في الحياة الاخرى. ومثلما جاء القبر والرمس كمسميات لمكان واحد جاء اللحد والرجم الذي هو القبر نفسه أو موضعه وهي كلها أسماء مسميات لمكان واحد. وذلك قوله في إحدى قصائده مادحاً الوليد بن عبدالملك ذاكراً فيها اللحد: (٦٣)

لقد حَلَفتُ بِما أسرى الحَجيجُ لَهُ والنـاذرينَ دماءَ البدنِ في الحرمِ
اذاً لكُنتَ كمن اودَى، وددأهُ أهلُ القرابةِ بينَ اللَّحدِ، والرجمِ

فالشاعر يقسم بالكعبة التي يقصدها الحجاج وبالناذرين الذين يصطحبون معهم الذبائح انه لولا الوليد وحمايته له في الثلم حيث اجتمع الناس لهلك وغيب بين التراب

والحجارة بقوله (بين اللحد والرجم) فهو يذكر القبر ذلك المكان الغريب والمعتم الذي تودع فيه فضائل ومناقب الممدوح.

السجون:

يعد شعر السجون أغلى الشعر قيمة وأكثره أصالة، واقدره على مدنا بالتجربة، التي عاناها الشاعر،فمن يتعرف لعملية السجن يذق مرارة حجز الحرية،ويتعرض لمختلف أنواع العذاب النفسي والجسدي وغيره، فيتفاعل ذلك في نفسه،وينعكس على شعره فيقدم لنا صورة صحيحة لواقع عايشه ولتجربة مارسها.(٦٤)

فالسجن مكان ضيق موحش يؤذي النفس ويجعل للحياة لوناً قاتماً يناقض لون الحرية، أما مكانه فتحت الأرض أو الأبراج العالية المنقطعة، رغبة في قطع السجين عن العالم وأما شكله فمنيع ووثيق الإغلاق على نزلائه، زيادة في انقطاع السجناء عن العالم وراء القضبان وخارج جدران السجن.(٦٥)

وفي تجربة الشاعر الأخطل ما يعانيه السجناء من ضيق وألم وغربة مكانية فرضتها هذه الأماكن المقفرة الخالية من كل خير ورحمة فـ(المكان قدر بيئي من مدركات الشاعر ولكنه مدرك يحمل الذات حصة من الخوف تظل تعمل عملها فيه)(٦٦)يقول الأخطل في هجاء الأنصار*: (٦٧)

ولـــم يَـــأتِنِي فـــي الصُّـــحفِ إلا ... ولـــو شِـــئتُمُ أرســـلتُمُ بأمَـــاني
نـــــــــــــــــــذيرُكُمْ ... ولا السّجْنَ، حتَّى يَمضيَ الحَرمانِ
فأقسـمتُ لا آتـي نصِـيْبِيْن طائعـاً

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى تهديد الأنصار له بسجنه وقطع لسانه فهو لم يحظَ من رسائلهم إلا التهديد والوعيد،فقد كان يأمل منهم العهد والوفاء لهذا يقسم إلا يعود إلى نصيبين طائعاً للسجن فيها جزاء ما اقترفه الا بعد ان يمضي شهرا رجب وشعبان، فهو يشعر بالذل والهوان لأنه تعود حياة الترف فلا يستطيع ان يعود إلى حياة الذل والمهانة،فالمكان هنا هو (السجن) بضيقه وعتمته وسكونه تحول إلى شيء كئيب مقيت

جعل الشاعر يقسم بأن لا يعود إليه،فالسجن في هذا النص جزء داخلي من شخصية الشاعر،ووعاء ناقل لأحداثه مع نفسه تلك الأحداث التي تصور الصراع بينه وبين الأنصار.

الثغور:

يطرح الثغر في الشعر خاصية المكان المخوف،فعادة ما يكون هذا المكان على أطراف البلاد مجدباً على الأغلب،تحف به المهالك والمخاطر، عرضة لهجمات الأعداء لا يتجشم عناء الوصول إليه أو الإقامة فيه إلا من امتلك مقومات القوة والحرب فكان مادة مثيرة في فكر الشعراء، عبّر به عن صور الارتباط بالأرض، والبطولة والتحدي القبلي بكل عنفوان وحدّة.[٦٨] ولننظر إلى ما قاله الأخطل في وقعة الجحاف*: [٦٩]

وقد ينـزلُ الثَّغرَ المخُوفَ، ويُتقى بِنَـا البـاسُ واليـومُ الاغـرُّ المُحجّـلُ

فالشاعر يفاخر ببأس قومه وقوتهم فهم يقتحمون الثغور المخيفة، ويحمون الناس من أعدائهم، كما انهم يخيفون الأعداء، لأنهم لا يخوضون في معركة الا وكان النصر حليفهم، وقد كنى عن ذلك اليوم بـ(الأغر المحجّل). لقد جاء الثغر هنا تعبيراً عن عمق الارتباط بالأرض ونوعاً من البطولة التي تجعلهم يقتحمون الثغور المخيفة.

وفي موضع آخر يؤكد الشاعر ان الثغور مكان لا يستطيع احد ان يصل إليه الا من امتلك صفات الإمامة والخلافة والبطولة فيقول في مناصرته لبني أمية ذاكراً أفضالهم: [٧٠]

إمـــام النـــاسِ والخلفـــاءَ مِـــنهُم وفتيـــانُ تُســـدُّ بهـــا الثغـــور

فالشاعر يمدح بني أمية بأنهم أهل الملك والإمامة والخلافة،فهم أقوياء يقاتلون الأعداء ويحمون الثغور.فـ(الثغر) هنا طرح خاصية المكان المخوف فهو مكان بعيد تحف به المهالك والمخاطر ولايستطيع أي احد الوصول إليه الا من امتلك القوة والبطولة.

الأمكنة الدينية:

تعد الأماكن الدينية من أبرز الرموز الدالة على وحدة الجماعة وتماسكها فالمعابد والأديرة والكنائس والجوامع والمساجد هي بؤرة المكان الذي تتخذه الجماعة محلاً لسكنها ومركزاً لفعالياتها في الحياة.(٧١)

ونظراً لأهمية الدين في حياة الإنسان –المسلم والنصراني–إذ هو الصلة بينه وبين خالقه،نجد أوصافا لأماكن العبادات والطقوس الدينية وتنعكس أهمية هذه الأماكن في فكره وفلسفته اليومية وإبداعاته المتنوعة فلا مفر الا اللجوء إلى الله **(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)** في كل صغيرة وكبيرة شاردة وواردة تمر في حياة البشر فهو عز وجل الملتجأ الوحيد والمنقذ المصون. (٧٢)

فالحس الديني والحس المكاني كلاهما حس أصيل وعميق في الوجدان البشري ويزداد هذا الحس بنمو الفكر البشري ويضعف بضعفه لذا كانت هذه الأماكن من ابرز معالم النهوض الحضاري.(٧٣) فقد وجد الشعراء في الأماكن الدينية ميداناً لإثراء قصائدهم،لما تحتله تلك الأماكن من قدسية في نفوس الناس، كما ان الظلال التي ينشرها المكان الديني على القصيدة يمنحها بعداً شاملاً،وعمقاً وثراءً في المفردات والصور.(٧٤)

ويكتسب المكان الديني من خلاله خصوبته في النص، أبعادا جديدة حيث يتشكل في النص تشكيلاً جديداً ويتلون بألوان الرؤية الإبداعية للشاعر. وتمثل الأماكن الدينية عالم المثال مقابل عالم الواقع،فالمكان هو المحور البارز الذي دارت عليه تجارب الإنسان لمفارقة الواقع ومجاوزته إلى عالم المثال وتعد ثنائية الواقع والمثال من أكثر موضوعات الوجود إقلاقا لحياة الإنسان وإثارة لفكره وشعوره،وهي ما تزال محور التفكير الديني والفلسفي والأدبي.(٧٥) ومن ابرز الأماكن الدينية وأكثرها استخداماً عند شاعرنا الأخطل هي (مكة، الكعبة، الجنة، النار، الأديرة) وهي لا تخرج عن أغراض المديح والفخر، من ذلك قوله في مدح يزيد بن معاوية قائلاً: (٧٦)

إني حَلَفتُ بِرَبِّ الرَّاقصات، وما ... أضحى بمكَّةَ من حُجْبٍ وأستارِ
وبالهدي، إذا احمَرَّتْ مذارِعُها ... في يوم نُسكٍ وتشريفٍ وتَنْحارِ
وما بِزمزَم من شُمطٍ مُحلقةٍ ... وما بيثربَ من عُوْنٍ وابكارِ

يبدأ الشاعر مديحه بالقسم على عادة العرب رغم أنهم قد عبدوا الأوثان إلا ان فيهم بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والحج والطواف والبدن...الخ،فهو يقسم بالإبل المتجهة إلى مكة وبما على الكعبة من حجب وأستار وبالاضاحي التي تنحر في مكة وبما في مكة ويثرب من شباب شمط وشابات عذارى،فالقسم في شعره يعد من اهم الاشارات الصريحة التي تدل على تأثره بالنهج القديم،فالقسم بالبيت والنسك والنحر كلها دلالات دينية تكشف عن عاطفة روحية تجاه مكة،مما لها من مكانة قدسية خاصة في نفوسهم ولأنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده فهي من الأماكن المقدسة عنده.

وفي قصيدة أخرى يستخدم الشاعر الأسلوب نفسه في مدح ممدوحه فيقول فيها:(٧٧)

وَقَدْ حَلَفْتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ بِاللهِ ربّ سُتُورِ البَيتِ ذي الحُجُبِ
وكل مُوفٍ بنذرٍ كانَ يَحْمِلُهُ مُضَرَّجٍ بِدماءِ البُدْنِ، مُختضِبِ

فالشاعر يقسم يميناً صادقة بالله،رب الكعبة ذات الستور والحجب والحجيج الذين يوفون بالنذر ويقدمون الأضاحي التي حملوها معهم متخضبين بدمها، فالقسم هنا جانب من جوانب الانشداد الديني إلى بيت الله الحرام وما تثيره معالم المقدسات فيه من رهبة وخوف لهذا كانوا يلزمون أنفسهم بوجوب الإيفاء بالنذور وغالباً ما تكون هذه الحيوانات التي تذبح، تعبيراً عن عمق المعتقد وإجلالا للحرم.

الأديرة:

تشارك الأديرة في تشكيل صورة المكان كونها رمزاً آخرا من رموز العبادة النصرانية، يقول الأخطل في مقدمة غزلية: (٧٨)

حَلْيُ يَشُبُّ بياض النَّحْرِ واقِدُهُ كما تصور في الديرِ التماثيلُ
أو كالعَسيبِ، نَماهُ جَدْوَلُ غَدِقٌ وَكَنّهُ وهَجَ القَيْظِ الأظاليلُ

يشبه الشاعر في هذه الأبيات الجواهر التي ترتديها صاحبته على صدرها وكأنها، تماثيل شاخصة في الدير أو كغصن من النخيل يرويه جدول متدفق وأظلته الاظاليل من حر الشمس فقوله (كما تصور في الدير التماثيل) ربما قصد الشاعر بالتماثيل أي تمثال سيدنا عيسى عليه السلام وامه مريم العذراء، فلجمال هذين التمثالين شبههما بالجواهر، فالتشبيه في هذه الأبيات عكس رؤية الشاعر تجاه هذه التماثيل لاسيما وان شاعرنا نصراني (فالدير) في نظره مكاناً ثرياً يرتبط بنظرته الشمولية التي ترى الدير مكان الجمال حيث استمد منه لبوسه النفسية فتحولت بموجبه الأشياء الجامدة (التماثيل) إلى حياة والفة.

ولم تقف مهمة الأخطل الإبداعية عند حدود الوصف لعناصر المكان وإنما تعداها إلى إضفاء ملامح الحياة الجمالية على الرسوم العافية لهذه الأديرة، فالحياة بمعناها الواسع تشكل جزءاً أساسيا من ذلك البناء الفكري والفني فيقول في إحدى مقدماته الطللية.[٧٩]

عَفا دَيْرُ لبّى مِن أُميمَةَ، فالحَضْرُ وأَقفَــرَ إلاَّ أنْ يُلِــمَّ بــه ســفرُ

يصف الشاعر هذه الأماكن (دير لبى)* و(الحضر)[٨٠] بأنها مواضع قد درست وزالت معالمها وأقفرت الا من بعض المسافرين الذين كانوا يمرون فيها، فهذه الأماكن تشكل صور متكاملة، مستوحاة من واقع راسخ في وعي الشاعر فهو يراها ببصيرته ماثلة للعيان، وذلك من خلال رموزها الباقية وبفعل قوة استرجاع الماضي فيسقطها على عمله الفني من خلاله تجربته النفسية، ومن خلال غرضه إذ لا توجد الأحداث مجردة من أمكنتها، كما لا توجد أمكنة مجردة من أحداثها وأزمانها.[٨١]

الجنة:

تعد الجنة من الأماكن الدينية التي وعد الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) المسلمين فقد وصفها الله سبحانه بأن نعيمها دائم وانهارها كثيرة ثرة،ففيها انهار من عسل مصفى وانهار من خمرة لذة للشاربين وانهار من ماء آسن،وانهار من لبن لم يتغير طعمه قال تعالى (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ**

لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ)[٨٢] وهذا ما أدته معاني الأبيات الآتية في قصيدة الأخطل التي يمدح بها يزيد،يقول فيها: [٨٣]

أو مثلَ ما نالَ نُوحُ في سَفينتهِ إذ استجابَ لنُوحٍ، وهوَ مَنجُودُ
أعطاهُ من لذَّة الدُّنيا واسكَنَهُ في جَنَّةٍ نعمةٌ فيها وتخليدُ

في الأبيات تضمين لقصص الأنبياء ومنها قصة سيدنا نوح عليه السلام فالشاعر يترجى من الله ان يعطي ممدوحه مثل ما أعطى نوحاً عندما دعاه وهو أسير وحزين، فاستجاب الله دعواه،وأعطاه لذة العيش في الدنيا والخلود في الآخرة.

فالشاعر يرى في الدنيا انها جسر يعبر به من خلالها إلى الآخرة فهي ليست دار قرار وإنما الجنة هي دار الخلود فلا يصيبها الفناء ولا يدرك الناس فيها الموت وقد كتب الله لأنبيائه وللمؤمنين الخلود فيها،لأنهم استقاموا على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه،فالأخطل يتمنى لو يكون ممدوحه في مصاف هؤلاء الأولياء.

الأمكنة الحضرية:

نعني بالمكان الحضري،المكان الذي قامت على أرضه حضارة شاخصة امتدت عبر الزمان وشهدت نهوضاً في جوانب الحياة المختلفة،فكانت حلقة من حلقات التاريخ وتركت آثارا واضحة على الأصعدة الوطنية والقومية والإنسانية،وكان المكان ابرز معالم وشواخص هذه الحضارة.[٨٤]

لقد كانت المدن منبثقة في العراء ومفتوحة على العراء أيضا ولم تكن منغلقة على أهلها أو معزولة عن فكر الشاعر وأحلامه عبر رحلته الطويلة،ومثلما أطلق قواه الذهنية نحو المدينة ليتأمل العالم ويتمتع بما تبعثه الأشياء من دهشة.[٨٥]وتبدو المدينة في شعر هذا العصر ،تكوينات متطورة تعكس القدرة العربية على التواصل الحضاري مع الأمم الأخرى.ويعد المكان من ابرز المحاور التي تحتفظ بعناصر حضارية قادرة على التجدد والانبعاث فاستحضر الشاعر في ديوانه كثيراً من الأماكن الحضرية منها العراق ودمشق

والسودان وفلسطين واليمن ومصر،وسنقتصر في دراستنا على هذه الأماكن لحضورها في شعر الأخطل،فمن هذه الأماكن.

العراق:

لقد كان العراق من أكثر الأماكن حضوراً في شعر الشاعر ذلك انه موطن الشاعر الأصلي،لذا ارتبطت حياته بالعراق وولدت فيه قصائد شعرية كثيرة لاتزال صداها في الأدب العربي خالدة،ومما يصور عمق الحس الوطني للشاعر الذي يكتنف رؤية الشاعر الأخطل فقد جاءت مدن العراق بكثافة في شعره مثل واسط،سنجار، المحلبيات* والخابور. ففي قصيدته التي يهجو فيها القيسيين يستوحي فيها صوراً من بلاده (العراق) فيذكر مواقع تقع في العراق من مثل منبج، فيقول فيها: (٨٦)

سَمَوْنا بِعرنين أشمَّ وعارضٍ لنَمْنَع ما بَيْنَ العراقِ إلى البشرِ
فأصبحَ ما بَيْنَ العراقِ ومنبجٍ لتغلب تَردى بالرُّدينَةِ السُّمرِ

يبين الشاعر في هذه الأبيات فضل قومه على الامويين فقد اعتلوا بجيوشهم العظيمة الأماكن الواقعة بين العراق والبشر ليمنعوا من ارتيادها كل من دونهم فقد احتلوا هذه الأماكن الواقعة بين العراق ومنبج بقوة سلاحهم. ويتجسد حضور المكان الحضري من خلال تكرار مفردة (العراق) ليؤكد الحس القومي لدى الشاعر، فالعراق صورة للماضي المشرق بالبطولة والانتصارات كما ورد الشاعر ذكر العراق في مديحه ليزيد بن معاوية الذي حماه من والده بعد هجائه للأنصار يقول في مقدمتها: (٨٧)

صَحا القلبُ إلا من ظَعائنَ فاتَني بِهِنَّ أميرٌ مُستبدٌ فأصْعَدا
وَقَرَّبنَ للبَيْنِ الجِمالَ وزُيِّنَتْ بأحمَرَ من لَكٍّ العِراقِ واسودا

يصف الشاعر في هذه الأبيات مشاعره تجاه ظعينه فقد أثارت شوقه ووجده بعد ان حملهن أمير مستبد مالك لهن على الرحيل، ثم يسترسل بعد ذلك في وصف هذه الجمال فيقول انها زينت بجلود حمر وسود مصبوغة بلك من العراق. فالمكان هنا (العراق) يشكل في إيحائه الفني بنية جمالية للجمال الموصوفة، ووظيفة المكان الشعرية

هنا تؤدي مهمة إثارة الإحساس بالمكان وإيصال الرغبة في تجسيد جمالية الذات الإنسانية.

دمشق:

تمثل دمشق في ذاكرة الإنسان العربي مركز الإشعاع الحضاري للفكر العربي الإسلامي فقد ترددت مدنها وأماكنها على لسان كثير من الشعراء ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا الأخطل، فقد ذكرها على صفة العموم من ذلك قوله في مدح عبدالملك بن مروان: (٨٨)

قُرُومُ ابي العاصِ،غداةَ تَخَمَّطَتْ دِمَشْقُ بأشباهِ المُهنَّأةَ الجُرْبِ
يَقُودونُ موجاً من أُميَّةَ، لم يَرِثْ دِيارَ سُلَيْم بالحجازِ ولا الهَضْبِ

يفخر الشاعر ببطولات قومه وانتصاراتهم فقد هبوا كالفحول بأمواج من الجنود الشاميين عندما أحاط الأعداء دمشق بخيولهم الشبيهة بالإبل الجربى فقوله(قروم ابي العاص) كناية عن انهم أبطال وأشداء لذا دافعوا عنها.ان موقف الشاعر من المكان (دمشق) متأت من قيمة المكان على الأرض،ومايثيره من إحساس في وعي الشاعر بكونه كياناً حياً ومطمحاً تتجسد فيه قيم الوجود فـ(دمشق) هنا ميدان واسع للأحداث التي تأخذ بعضها برقاب بعض والتي تعكس مصداقية الشاعر في التعامل مع الواقع المحسوس بطريقة اللغة فـ(دمشق) مسرح للبطولات والانتصارات التي سطرها المروانيون على أعدائهم.

ونلاحظ في هذه الأبيات ان هناك تعدد بالأمكنة كقوله (ديار الحجاز) و(الهضب) مما يدل على وجود فعلي لقومه.

وفي قصيدة أخرى يورد الشاعر ذكر (الشام) في مديحه لعبدالملك بن مروان ومفاخرته ببني قومه: (٨٩)

وَلَمـــا تَبينـــا ظلالـــةَ مُصـــعب فَتَحنا لأهلِ الشامِ باباً من النصرِ

يبين الشاعر فضل قومه على الأمويين فلما تبين ان مصعب كان ضالاً بعيداً عن الصراط المستقيم وقف أهل الشام ضده فكان النصر حليفهم. لعب المكان هنا دوراً فاعلاً في تشكيل الواقع فهو هنا المحور في رسم هذه الصورة وهو المحفز الرئيسي لخيال الشاعر فعملية الفتح هي النصر بقوله (فتحنا) وهي تأكيد على قوتهم وعظمتهم وبأسهم في القتال.

مصر:

لم تكن مصر بعيدة عن الشاعر فقد ضمنها هي الأخرى في شعره وذلك في إحدى قصائده التي يهجو فيها جحدر بن طبيعة *، قال فيها: (٩٠)

وكلْبٌ إذا حالَت قُرَى الشّام دُونها إلى النّيْلِ هُرّاباً، وان احْدبَتْ مِصْرُ
يَعُوذُون بالسُّلطان منّا، وفَلّهُمْ كذِي الغارِبِ المنكُوبِ أوجَعَه الوِقْرُ

في هذه الأبيات علامة دالة على رؤية الشاعر للمكان فهو يختار المفردة ويضعها في موضعها بشكل دقيق تكشف عن إحساسه ونظرته لها فالشاعر أورد ذكر المكان (مصر) عند مخاطبته للقبائل ومفاخرتها وتهديدها فقد تصدوا للكلبين وقهروهم حتى الجأوهم للفرار، وقد أزمعوا ان يقصدوا مصر رغم قحطها،فلما منعتهم قرى الشام من ذلك لجأوا إلى السلطان خوفاً منهم،وقد تشردت فلولهم. والنص يتضمن تعدد بالأمكنة من مثل قوله (قرى الشام) و(مصر) مما يبين مهارة الشاعر وقدرته على الوقوف بقبيلته موقف الفخر بالشجاعة والبطولة ووعيه بهذه الأمكنة وأهميتها،لهذا كان المكان هنا واقعاً استمد منه الشاعر طاقته النفسية والفنية بكونه محتوى حياً لفعل الأحداث.كما لعب التشبيه هنا دوراً فاعلاً عندما شبه فلول الأعداء بالبعير المقرح السنام. وهذا التشبيه جذب انتباه المتلقي بحسن تمثيل الصورة.

فلسطين:

لفلسطين مكانة في شعر الشاعر لما لها من تاريخ عريق يضرب في أعماق الزمن ولما تحتله من قدسية في نفوس الناس،وقد كانت وماتزال بؤرة الصراع الديني والحضاري بين المسلمين وبين أعدائهم.(٩١)

فقد وظف الشاعر مدينة فلسطين لاقترانها بالخمرة فهي واقعة في بلاد الشام وتشتهر بزراعة الكروم،فيقول في حديثه عن الخمرة وشاربها: (٩٢)

شَـــربْتُ ولاقـــاني لحـــل أَليتّـــيْ قِطـارٌ تَـرَوّى مـن فَلَسْـطِينَ مُثْقَـلُ
عليـهِ مِـن المِعْـزَى مُسـوكٌ رَويَّـةٌ مُمـــلَّاةٌ يُعلـــى بِهـــا وتُعَـــدَّلُ

يبين الشاعر في هذه الأبيات مدى تعلقه بالخمر فقد عاد عن يمينه التي قطعها بعدم شرب الخمرة لما رأى قافلة مثقلة بالخمور قادمة من فلسطين. ان هذه الأبيات تظهر معرفة الشاعر بالأماكن التي تجود بصناعة الخمرة كما انها تعكس حالته النفسية فهو يفخر بأنه شرب أنواع الخمور ذات الجودة العالية، أما (فلسطين) هنا فهي دلالة أرضية راسخة في نفس الشاعر تتحول في اللاوعي إلى دلالة نفسية تأخذ أبعادها وما يحيط بها مكللة بشحنات عاطفية دافقة، فخمرة فلسطين حافزاً جعله يعود إلى شرب الخمرة بعد أن قطع على نفسه يميناً ان لا يعودها،ويسترسل الشاعر في وصفه للخمرة فيصف سقاتها، يقول:

فقلـت: اصْـبَحُوني لا أبـا لأبـيكُمُ ومـا وضـعوا الاثقـال الا ليفعـلوا
أنـاخُوا، فَجَـرُّوا شاصـياتٍ، كأنَّهـا رِجـالٌ مـن السُّـودانِ لـم يَتَسَـرْبَلُوا

يصف الشاعر الابل التي تحمل الخمرة فعلى متونها وجانبيها زقاق ضخمة مليئة بالخمور موضوعة بشكل متوازن ويطلب الشاعر من هؤلاء السقاة ان يسقوه فيستجيبون له فيضعون أحملتهم ويتركون ابلهم ويجرون الزقاق المليئة بالخمر المطلية بالقار الاسود، وكأنها رجال من السودان عراة،فالشاعر هنا يشبه اواني الخمر المطلية بالسواد برجال عراة من السواد وقد أراد من هذا التشبيه ان يسبغ عليهم صفة السواد بصورة تجعل

المتلقي يذهب عميقاً في تأمل الأبيات. ان توظيف المكان (فلسطين) لوصف الخمر يعكس وعي الشاعر وتفاعله مع البيئة، لهذا أخذت فلسطين أشكالا ومواقف تكشف عن حقائق تتعلق بحبه وشغفه للخمرة.

نجران:

هي واحدة من المدن اليمنية التي تقع شمال اليمن فقد ضمنها الشاعر في شعره عند هجائه لبني كعب وتحقيره لقوم جرير، قال فيها: (٩٣)

قـومٌ انَابَـتْ إليـهم كُـلُّ مُخْزيـةٍ وكُـلُّ فاحشـةٍ سُـبَّتْ بِهـا مُضَـرُ
علَـى العيـاراتِ هَـدّاجُونَ قـد بَلَغَتْ نَجـرانَ أو حُـدّثَتْ سَـوءاتِهم هَجـرُ

يقول الشاعر ان كل عيب وكل فاحشة سبت بها مضر انما سببها بني كليب بني يربوع فهم ملجأ للخزي والعار،وهم أصحاب حمير وليس بأصحاب خيل أو ابل فمساوئهم انتشرت بين جميع الناس وفي كل الأقطار،لقد أراد الشاعر من اختياره لمدينة نجران ان يجسد صورة معينة في ذهنه تتناسب وحجم المشهد الذي رسمه في القصيدة، فقد أراد ان يبين الصورة السيئة لهؤلاء القوم. وقد استفاد الشاعر في هجائه من المساحة المكانية الممتدة من نجران في اليمن وهجر في البحرين،فهؤلاء القوم قد وعيت مساوئهم ومخازيهم هذا المكان الواسع أنى حلّوا أو نزلوا انزل معهم السوء.ان هذه المدن وما ينبثق عنها موضوعياً تعكس واقعية هذا الموروث في تعامله مع الحضارة وتحقيقه الاستجابة النفسية في قدرته على نقل صورة الحياة المتطورة في اطر فنية متميزة.

الخاتمة:

تناول البحث دراسة (شعرية المكان في شعر الأخطل) بوصفه واحداً من أهم عوامل الحدث وأكثرها احتواء للصراع والشخوص، وأشدها تعقيداً وعمقاً وفاعلية في قصائد الشاعر.

- كان هدف البحث التركيز على خصوصية (الشعرية المكانية) عند الأخطل والكشف عن أثرها الفني والفكري في النص الشعري، فاتجه إلى استقرار أشكال المكان في الموروث. ثم تحليل بواعثه ومحاولة ربطه بالواقع، ورصد فاعليته في البناء الشعري، وذلك بما يمتلكه من تأثير وقوة.
- تناولت الدراسات الحديثة المكان من حيث كونه مكاناً مطلقاً أو نسبياً وينشأ المكان من خلال التفاعل القائم بين الموجودات الطبيعية والاصطناعية.
- للمكان في الأدب أهمية كبيرة إذ يتشكل من الأرضية الفكرية والاجتماعية التي يحدد فيها مسار الشخوص ويركز فيها على الأحداث ضمن زمن داخلي نفسي يخضع لواقع التجربة في العمل الفني.
- يتشكل المكان في الشعر من خلال اللغة الشعرية التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة فيها بعد مادي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية.
- بين البحث ان الشعر عبارة عن لوحات شعرية ابتدأها الشاعر في مطالع قصائده فكانت المقدمة الطللية رمزاً لارتباط الشاعر بالمكان ومن خلال رحلة الظعائن وقف الشاعر على المكان بوصفه مفردة أساسية، سار عليها في ابراز قصته ورحلته مع الممدوح أو الحبيبة.
- كانت الأمكنة المفتوحة من أكثر الأمكنة توظيفاً لدى الشاعر فقد كانت الأرض والصحراء الملهم للشاعر بوصفها بنية شعورية ثاوية في العقل العربي فاستطاع الشاعر ان يجعل منهما عالماً منفتحاً على دلالات كثيرة ووفق في جعلهما لوحة داخل نص مدحي أو نص غزلي أو هجائي ومن هذه الدلالات الخوف والعداء والسعة والوحشة... الخ، أما الجبال فتعد من المظاهر التي جلبت فكر الشاعر فراح يصف عظمتها وشموخها ويرمز لها بدلالات تدل على الشموخ والثبات وجعلها تشاركه بالنصر على الأعداء.
- أما الأمكنة المغلقة (الأليفة) فهي أكثر الأمكنة الفة في حياة الشاعر فهي مكان المأوى والحماية والسكينة،لذا كانت رؤية الشاعر لهذه الأماكن وتعامله معها

وعلاقته بها تنطلق من هاجس البحث عن مكان الراحة فضلاً عن ان هذه الأماكن تمنح الشاعر إحساس بالألفة والاستقرار.

- كشف المكان المعادي قساوته ووطأته الثقيلة على الإنسان، والشاعر الإنسان صاحب الحس المرهف والعاطفة مالبث ان تحدث عن هذا المكان بكل ما يحمله من قسوة وخوف، فجاءت أبياته معبرة عن صميم تجاربه فأصبح المكان أهم مؤثر ومعبر عنها.
- كانت الأماكن الدينية ميداناً فسيحاً صور الشاعر من خلاله وحدة الجماعة وتماسكها ومركزاً لفعاليتها في الحياة، وكان القسم بهذه الأمكنة دلالة من هذه الدلالات الدينية التي تكشف عن عاطفة روحية تجاه هذه الأماكن لما لها من قدسية خاصة في نفسه.
- عكست الأمكنة الحضرية القدرة العربية على التواصل الحضاري فكثير من هذه الأمكنة قامت عليها حضارات شاخصة امتدت عبر الزمن وشهدت نهوضاً في جوانب الحياة المختلفة،وان ذكر هذه الأمكنة يؤكد فخر انتماء الشاعر بعروبته فضلاً عن التغني بجمالها،وكان العراق من أكثر المدن التي تناولها الشاعر في ديوانه وذلك لأنه موطن الشاعر الأصلي.

الهوامش

١- في الشعرية، كمال أبو ديب: ١٤.

٢- ينظر: الأزمنة والأمكنة/المرزوقي: ١٣٩/١.

٣- ينظر: سورة البقرة، الآيات ٣٠، ٣٨، والزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، حسام الدين الالوسي، مجلة عالم الفكر، ع ٢، ١٩٧٧ : ١٠٩.

٤- المكان في الشعر العراقي الحديث، سعود احمد يونس، رسالة دكتوراه: ١٨.

٥- جماليات المكان، باشلار: ٧.

٦- تاريخ الادب العربي قبل الاسلام، نوري حمودي القيسي: ١٤٥.

٧- المكان في الشعر العربي قبل الاسلام، حيدر لازم مطلك، رسالة ماجستير: ٣١٣.
٨- جماليات المكان، اعتدال شاهين، مجلة الاقلام، ع ٢، ١٩٨٦.
٩- الزمان والمكان، ديوان محمود درويش احد عشر كوكباً، دراسة نقدية، بسام فطوس، مجلة أبحاث اليرموك، اربد، الأردن، مجلد ١٤، ١٩٩٦ : ٤٧.
١٠- المكان نصاً مفتوحاً: ٣٩.
١١- جماليات المكان: ٧٦.
١٢- في الشعرية، كمال أبو ديب: ١٩.
١٣- ينظر: جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب: ١٠٩ – ١١٠.
١٤- ينظر: جماليات المكان: ٧٨.
١٥- ينظر: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، صلاح عبدالحافظ: ١٤٣.
١٦- ينظر: القصة القصيرة وقضية المكان، سامية احمد، مجلة فصول، ع ٤، ١٩٨٢: ٣٨، ودلالة المكان في مدن الملح، محمد شوابكة، مجلة اليرموك، ع ٢، ١٩٩١: ١٠.
١٧- ينظر ديوانه: ٥.
١٨- م. ن: ٧.
١٩- ينظر: الإنسان وعالم المدينة، مناف منصور: ٢٠٥.
٢٠- ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، عزالدين اسماعيل: ٢٦٢.
(*) خالد بن عبدالله: هو خالد بن عبدالله بن اسيد بن ابي العيص بن امية، كان احد اجواد العرب في الاسلام، وكان جواد اهل الشام، النقائض ٤٨-٦٩.
٢١- ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / البكري: ١٧/١.
٢٢- ينظر ديوانه: ١٦٠.
٢٣- وصف الطبيعة في الشعر الأموي: ٣٦٤.
٢٤- المكان في شعر ما قبل الإسلام: ١٠١.
٢٥- ينظر ديوانه: ٢٩٥.

(*) عك: سم قبيلة من الازد، جبا براق: الموضع الذي قتل فيه عمر، ديوانه ٨١.

٢٦- المكان في شعر صدر الإسلام، فنن نديم دحام، رسالة ماجستير: ٤٠.

٢٧- مشكلة المكان الفني، لوري لوتمان: ٦١.

٢٨- ينظر ديوانه: ١٥٦-١٥٧.

٢٩- م. ن: ١٥٦.

(*) سماحيق السَّلا: السماحيق: ما خرج على وجه الوليد من السَّلا، وهو جمع سمحاق واراد بأخي القفرة: الذئب.

٣٠- الشعر والتاريخ: ٣٢.

٣١- ينظر ديوانه: ٤٣٣.

٣٢- المكان في شعر ما قبل الإسلام: ٦٤.

٣٣- ينظر ديوانه: ٣٩.

٣٤- م. ن: ١٨٩.

٣٥- م. ن: ٤١.

٣٦- ينظر: وصف الطبيعة في الشعر الأموي: ١٥.

٣٧- ينظر: المصدر ذاته: ١٨-١٩ .

٣٨- ينظر ديوانه: ١٨٠ .

٣٩- م. ن: ١٢٠-١٢١.

(*) البرقاوات: جمع برقاء، وهي الارض الغليظة ذات حجارة ورمل وطين، اعامق: واد، احاوله: ساحاته، أي ما اتسع من جوانبه واحدها اجول، وكلاب: اسم جبل، مرد: جبل بالخابور و " مخارمه ": طرقه، ابازله: جباله، شبهها بالبازل من الإبل.

٤٠- ينظر: المكان والرؤية الإبداعية، د. نادية غازي جبر، مجلة آفاق عربية، ع آذار، نيسان، ١٩٩٨: ٣٨.

٤١- ينظر: المكان في الشعر العراقي الحديث: ٤٣.

٤٢- ينظر: جماليات المكان (باشلار): ١٧٦.

٤٣- إشارة إلى الآية القرآنية (وإذا قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة.) البقرة: ٣٥.

٤٤- ديوانه: ١٢٩.

٤٥- م.ن: ١٩١.

٤٦- ديوانه: ١٦، وينظر: ديوانه: ١٤١، ٣٣٩، ٢٨٥.

٤٧- ينظر: المكان في شعر ما قبل الاسلام: ٥٣.

٤٨- ينظر: وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ٩.

٤٩-إشكالية المكان: ٩٦.

٥٠- ديوانه: ٣٧٠.

٥١- ينظر: نظرية الشعر: ٦٤.

٥٢- ديوانه: ٢٣٢.

٥٣- م. ن: ١٦٧.

٥٤- السفح: موضع كانت فيه وقعة بين بكر وتميم، الرحب: قرية بحذاء القادسية وقيل ناحية بين قرى الشام قريبة من وادي القرى.

٥٥- ينظر: الشعر والتاريخ: ٣٤.

(*) بني عبس: نسبة الى امه ولادة بنت العباس بن جزئ بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن ابن قطيعة بن عبس.

٥٦- ديوانه: ١٨٩.

٥٧- ينظر: جماليات المكان (مجموعة باحثين): ٢٣.

٥٨- ينظر: المكان في الشعر الأندلسي، محمد سايد عويد: ١٠١.

٥٩- ديوانه: ٣٨.

٦٠- الرثاء: شوقي ضيف: ٥٥.

٦١- ظاهرة السقيا وأبعادها الدلالية في القصيدة العربية، يوسف حسين خربوش، مجلة جامعة البعث، سورية، ع ١، ١٩٩٢: ٣٠.

٦٢- ديوانه: ٣٣.

٦٣- م. ن: ١٩١.

٦٤- ينظر: شعر السجون وآثارها في الآداب العربية في العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي، واضح الصمد: ٢٠٣.

٦٥- تجربة السجن في الشعر الأندلسي: ٩٥.

٦٦- ينظر: نقد الشعر في المنظور الفلسفي، د. ريكان ابراهيم: ٨٩.

(*) هجاء الانصار: إشارة إلى إخبار يزيد بن معاوية إياه بما توعده به معاوية، لهجائه الأنصار.

٦٧- ديوانه: ١٣٠.

٦٨- ينظر: المكان في شعر ما قبل الإسلام: ١٥٨.

(*) الجحاف: هو ابن حكيم السلمي، وللجحاف يوم البشر وهو اخرها لم يكن بعده وقعة.

٦٩- ديوانه: ١٦٣.

٧٠- م. ن: ١٨٧.

٧١- ينظر: المكان في الشعر العراقي الحديث: ١٥٨.

٧٢- ينظر: المكان في الشعر الأندلسي: ١٧٤.

٧٣- ينظر: المكان في الشعر العراقي الحديث: ١٥٨.

٧٤- ينظر: اثر التراث في الشعر العراقي الحديث: ٨٢.

٧٥- ينظر: الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم: ١٢٩.

٧٦- ديوانه: ٢٣.

٧٧- م. ن: ١٧، وينظر ديوانه: ١٨٥/١٩٢.

٧٨- م. ن: ٤٢٤.

٧٩- م. ن: ٢٧٢.

(*) لبنى: من ارض الموصل.

٨٠- الحضر: دير قديم على شاطئ نهر دجلة، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/٢٢٠.

٨١- ينظر: خصوبة القصيدة الجاهلية: ١٥١.

٨٢- سورة محمد، الآية: ١٥.

٨٣- ديوانه: ١٥.

٨٤- ينظر: أصالة الحضارة العربية، ناجي محروق: ٣٦.

٨٥- ينظر: المدينة في الشعر: ٤٥.

(*) المحلبيات: هي موضع موجود في جزيرة الموصل، ديوانه، ٢٠٦.

٨٦- ديوانه: ٧٦، وينظر ديوانه: ٨٤.

٨٧- م. ن: ٢٤.

٨٨- م. ن: ٩٩.

٨٩- م. ن: ٧٦.

(*) جحدر بن طبيعة: هو رجل من بني جحدر، وهو ربيعة بن ظبيعة بن قيس بن ثعلبة، وانما سمي جحدراً لقصره.

٩٠- م. ن: ٢٧٥.

٩١- ينظر: نحن والتراث: ٧٧.

٩٢- ديوانه: ١٥٣.

٩٣- م.ن: ٩٠.

قائمة المصادر والمراجع

١- اثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٢- الأزمنة والأمكنة، أبو علي المرزوخي(٤٢١)، مطبعة حيدر اياد الركن، ١٣٣٢هـ.

٣- الاسس الجمالية في النقد العربي، عزالدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٤- جماليات المكان، مجموعة باحثين، البيضاء، ط٢، دار قرطبة.

٥- خصوبة القصيدة العربية ومعانيها المتجددة، دراسة وتحليل ونقد، عبدالله محمد صادق حسن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.

٦- ديوان الأخطل، شرح رامي الأسمر، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.
٧- الرواية والمكان، ياسين النصير، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العددان(٥٧) و(١٩٥).
٨- الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٧.
٩- الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، صلاح عبدالحافظ، دار المعارف، مصر، د. ت.
١٠- السجون وأثرها في الآداب العربية، من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، د. واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١١- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، ١٩٣٨، ج١.
١٢- الشعر والتاريخ، نوري حمودي القيسي، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٠.
١٣- في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الإيمان العربية، بيروت، ١٩٨٧.
١٤- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، بيروت، ١٩٧٣.
١٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيدة عبدالله بن العزيز البكري (٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، ج٤، ١٩٤٥.
١٦- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحلم العربي، ٤٨٤-٨٩٧، د. محمد عويدمحمد ساير الطريولي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٥.
١٧- نحن والتراث، محمد عابد الجابري، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٩٨٢.
١٨- نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧.
١٩- نقد الشعر في المنظور الفلسفي، ريكان ابراهيم، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٨٩.
٢٠- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٤.

٢١- وصف الطبيعة في الشعر الأموي، اسماعيل احمد شحاذة، دار عمار، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

الاطاريح:

١- الرثاء في الأدب الأندلسي، يوسف حسين خريوش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣.
٢- المكان في شعر صدر الإسلام، فنن نديم دحام آل بليش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.
٣- المكان في الشعر العراقي الحديث ١٩٦٨-١٩٨٠، رسالة دكتوراه، سعود احمد يونس، جامعة الموصل، كلية الآداب، بأشراف: د. بشرى حمدي البستاني، ١٤١٧-١٩٩٦.
٤- المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير، حيدر لازم مطلك، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٧-١٩٨٧.

الدوريات:

١- جماليات المكان، اعتدال شاهين، مجلة الأقلام، ع ٢، ١٩٨٦.
٢- دلالة المكان في مدن الملح، محمد شوابكة، مجلة اليرموك، ع ٢، ١٩٩١.
٣- الزمان والمكان، ديوان محمود درويش(احد عشر كوكباً) دراسة نقدية بسام قطوس، مجلة ابحاث اليرموك، اربد، الأردن، المجلد ١٤، ١٩٩٦.
٤- الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، حسام الالوسي، مجلة عالم الفكر، ع ٢، ١٩٧٧.
٥- ظاهرة السقيا وأبعادها الدلالية في القصيدة العربية، حسين يوسف خريوش، مجلة جامعة البعث، سوريه، ع ١١، ١٩٩٢.
٦- القصة القصيرة وقضية المكان، سامية احمد، مجلة فصول، ع٤، ١٩٨٢.
٧- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة سيزا قاسم، مجلة الفن، العدد ٦، ١٩٨٦.
٨- المكان، الفضاء، الحيز، . . من اجل فك الاشتباك الاصطلاحي، كريم رشيد، مجلة عمان، كانون الثاني، ١٩٩٩.

٩- المكان نصاً مفتوحاً، باسم عبدالحميد حمودي، مجلة الرواة، السنة الرابعة، بغداد، ع ١، ١٩٩٩.
١٠- المكان والرؤية الإبداعية، د. نادية غازي جبر، مجلة آفاق عربية، عدد آذار، نيسان، ١٩٩٨.

Place Poeticalness in the Poetry of Al-Akhtal

Poetry, for Al-Akhtal, is considered one of the most significant man activity which embodies depth and originality of the spatial sense. The paper attempts to study the dimensions which constitute the poeticalness of the place. This approach connects the place with reality, diagnose its artistic aims and intellectual dimensions, and what is inspired of strength and effectiveness to the poetical structure. So the open place was the most used place in the poetry of Al-Akhtal due to being affected by the charming nature especially land and desert which are connected with him strongly. So he sang his memories in its ruins ,mountains,vallies,and towns. On the other hand, his themes was taken from the social values:its components, the way of its structure. So it has place for dwelling ,houses,homes,and living sites and places rich with memories. So it was a vast arena that the poet depicts the unity of community ,its integrity and a centre for its activities. The urban places played an important role.they digest the poet view of loving the rising horizons of the civilizing awakening which confirm the poet pride of being affiliated to those towns.